

أحوال الثقافة

ازدياد أسعار البطاقات جزءٌ من خطة النهوض
بيروت تقاوم بالمسرح... وتألّف تحت الانقاض

قبل اشهر، اعيد افتتاح مسارح لبنان مع احترام شروط التباعد واتخاذ كافة التدابير الصحية. الا ان الازمة الصحية ليست سوى نقطة في بحر من الازمات التي يواجهها ابوالفنون اليوم. التحديات المالية والاقتصادية تضع المسرح اليوم امام ازمة وجودية بحق، خصوصا في ظل غياب الدعم المقدم له

مسار المسرح في لبنان شاق مثل تاريخه. كأننا به مرآة لحال البلد. قبل الازمة الاقتصادية والمالية وكوفيد 19، كان المسرح يعاني اصلا وشهد اقفال فضاءات شكلت علامة ومعلمًا في تاريخ لبنان بعدما احتضنت خشبتها عروضاً واعمالاً اشكالية او تعود الى الحقبة الذهبية لهذا الفن مع لطيفة انطوان ملتقى، ويعقوب الشدراوي، وروجيه عساف، وريمون جبارة وغيرهم... اذا، كان المسرح يعاني في الاصل، بل انه دخل في ازمة وجودية، خصوصا في ظل غياب الدعم الرسمي والمالي. وجاءت الازمة الاقتصادية والصحية، حتى خشينا من القول انها تكاد تطلق رصاصة الرحمة عليه.

اقفلت الفضاءات المسرحية على مدى عام ونصف العام، وكان كل يوم من هذه الفترة اشبه بفعل مقاومة في وجه موت المسرح تماما. اقيمت بعض العروض الافتراضية هنا وهناك، لكنها لم تشبع نهم المسرحيين ولا محبي المسرح. في بلد يتخبط بازمات اقتصادية ومالية لا تحصى، كيف سيفكر المواطن في المسرح والفن والثقافة؟ قد يقول قائل انها رفاهية لمن يفكر ليلا ونهارا كيف يبتاع علبة الحليب والدواء ويتحمل كلفة العلاج والمدارس والمتطلبات المعيشية الاخرى.

لكن بعد عام ونصف العام من الاقفال، عادت الفضاءات المسرحية لتفتتح ابوابها امام الجمهور، وشهدت بيروت الشهر الماضي مسرحيات عدة عرضت ليومين او ثلاثة فقط. هل هذا عائد الى الازمة الاقتصادية او الصحية؟ سؤال يضاف الى اسئلة اخرى تتعلق بقدرة المسرح على الاستمرار في هذه الظروف الخائفة: كيف



من مسرحية "سجن النساء" ليلينا ابيض.

الجمهور في حاجة الى الفن في زمن الازمات الكبرى

"سجن النساء" ليلينا ابيض
في "مسرح المدينة"، شهدنا الشهر الماضي عرض "سجن النساء" للمخرجة اللبنانية لينا ابيض. العمل هو استدعاء لسيرة المناضلة النسوية المصرية نوال السعداوي (1931 - 2021) والمعارك التي خاضتها من اجل حرية المرأة ضد النظام البطريكي والذكوري. العرض حمل اسم رواية لها، مجسدا للحظات التي عاشتها الكاتبة المصرية في سجن القناطر في مصر. المسرحية كانت مجانية للجمهور، مع احترام قيود التباعد الاجتماعي، اي ملء نصف القاعة فقط. مع ذلك، احتشد محبو المسرح طالبين مشاهدة العمل. ردا على سؤال عن مدى اهتمام اللبنانيين بالمسرح اليوم وسط الازمة المالية والاقتصادية الخائفة، تقول لينا ابيض لنا:

"اتصور انه حين تكون الاوضاع سيئة، فان دور الفن يزداد اهمية. خلال عرض مسرحيتي، احتشد الجمهور يريد الدخول لمشاهدة العرض، وابدى استعدادا للدفع. هناك تعطش وشغف لبناني بالمسرح، وليس صحيحا ان الجمهور ليس معنيا رغم كل الكوارث المحيطة به".

لكن كيف يواصل صناع المسرح عملهم وسط هذه الازمة، الى جانب غياب الدعم الرسمي لكل انواع الفنون في لبنان؟ تجيبنا: "في الحقيقة، مسرحيتي سجن النساء كانت عملا طلابيا، ولنا منحة اجنبية ضئيلة عليه، والكل عمل بشكل مجاني فيها. حتى استئجار مسرح المدينة كان في ما مضى يكلف 900 دولار، هذه المرة اخذوا منا فقط مليوني ليرة لبنانية. الوضع استثنائي، هذا ما نقوله. لكن لا اعرف كيف سيؤمن المسرح استمراره في هذا الوضع، وكيف سيعيش الفنانون منه. هذه السنة، قدمنا مسرحية "همسات" على يوتيوب خلال الحجر، وراحت عائداتها الى ترميم الفضاءات الثقافية المتضررة جراء انفجار المرفأ في الرابع من اب. ثم اقمنا "همسات 2" وراحت ايضا عائداتها لدعم مشاريع المخرجين الشباب. لكن اليوم، مطلوب دعم حقيقي للمسرح في لبنان. في اوروبا، ساعدت الدولة المبدعين والمبدعات خلال ازمة كورونا، خصوصا المكتبات التي تلقت دعما كبيرا في الدولة. لكن هنا، لا نعرف ما مصيرنا. اخشى ان يتوقف المسرح عن ان يكون مهنة ويستحيل هواية، مما يجعله يخسر الكثير لجهة التقنية والمهارات. اذكر انه منذ عشر سنوات تقريبا، بدا التغير في لبنان بالنظر الى المسرح. ففي ايامي، عارض اهلي ان ادرس المسرح لانه لا يطعم خبزاً، وشوشو حين توفي لم يكن معه ثمن تابوت. لكن الامور تغيرت منذ عشر سنوات، اذ اقبل العديد من الشباب على دراسة المسرح بعدما كان قد بدأ يرسخ نفسه كمهنة ذات احتمالات عديدة ومتنوعة وازداد عدد المسرحيات المعروضة في البلد وشهدت اقبالا كبيرا عليها، مما جعل الفنانين يعيشون فعلا من هذه المهنة. اليوم، يبدو اننا عدنا الى نقطة الصفر. اعلم الان على مسرحيتين، لكنني مثلا الغيت التمارين، ◀

نقطة على السطر

لبنان يرفع التحدي... ثقافياً

المسرح هو اكثر الفنون هشاشة. يمكن للاديب ان يكتب روايته وحيدا في قبو مظلم، ولا تنشر، مثل كافكا، الا سنوات بعد مماته. يمكن للمؤلف الموسيقي ان يؤلف اعظم السمفونيات من دون آلة موسيقية واحدة، فهو يسمعها في رأسه ويكتب على الورق المسطر الخاص بالنوتات، ذات يوم قريب او بعيد ستؤدي هذه الاعمال اعظم الأوركسترات الفيلهارمونية. الامر نفسه بالنسبة الى الرسام والنحات الغارقين في ضوء محترف بعيد، معزول عن صخب المدينة. حتى السينما التي تتطلب امكانيات مادية وتقنية كبرى، فهي منقطعة عن اللحظة الراهنة: توضع البكرات الجاهزة من الفيلم في علب، وربما لن تعرض قبل سنوات طويلة كما حدث مع بعض الروائع الاشكالية في الفن السابع...

يبقى المسرح. المسرح ابن لحظته، قائم على التماس المباشر مع الجمهور، مع اهل الحاضرة. لا وجود له بلا جمهور ومشاهدين وفضاء عام. وربما لا يبقى منه الكثير بعد انتهاء العرض، الا بعض البصمات المنسية هنا او هناك في وجداننا وذكريتنا. بعد نزول ستارة الفصل الاخير، يتبخر ولا يبقى منه الا ما التقطناه وتفاعلنا معه. طبعاً هناك النص، هناك الصور، وفي العقود الاخيرة هناك الفيديو، لكنها كلها ادوات تقريبية، تلتقط شيئاً آخر حول العمل، لا العمل نفسه. فالاصل لا يعيش الا في الواقع، حتى لو كان الاسلوب رمزياً واصطلاحياً احياناً... انها علاقة حية، وتمام مباشر - لا يقوى عليهما الزمن الافتراضي والانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي - بين الخشبة والصالة، بين الممثل والمشاهد على بعد امتار. هذا الوجود الحقيقي، الموقوت، هو الذي يجعل من فن يتوجه الى الجمهور الحاضر المتفاعل، فنا ديمقراطياً بامتياز، فنا يختصر وجدان المدينة ويعبر عن مرحلة وعصر، اجتماعياً، جمالياً، ادبياً، فلسفياً، وجودياً، وسياسياً ايضا وقبل كل شيء (حتى وان لم يكن العمل سياسياً، فإن العرض نفسه، بمجرد قيامه، الآن وهنا، فعل سياسي حكماً).

لذلك كان يمكن للمرء في لبنان ان يستغرب ما سمعه في الاخبار، ما قرأه على هذا الموقع او في تلك جريدة. كلا، ليست اشاعة، ولا مشروعات مستقبلية، ولا مجرد تمنيات. لقد حدث ذلك فعلاً: ان تحتضن بيروت خلال الشهر الماضي في وقت واحد عروضاً مشهدة عدة من رقص (علي شحرور) ومسرح. ما هذه المدينة العجيبة الغريبة، يبحث فيها الناس عن دواء ووقود وحليب اطفال، وتقطع فيها الكهرباء طوال الوقت، لكن هناك نساء ورجالا اخذوا كل وقتهم في التأليف والاعداد والتدريب وتأمين التقنيات، ليقدّموا لنا اعمالاً مسرحية؟ اي جمهور هذا الذي قفز فوق الازمة الحادة، والجائحة، والمأسي بالجملة، وجاء الى المسرح يبتاع بطاقة ويدخل ليعود فيعيش اللحظة التراجيدية نفسها؟

يحتاج الامر الى كثير من الشرح والدراسة والتحليل حول اهمية الفن الرابع وخصوصيته، وجنون بيروت عاصمة كل الاحتمالات، حتى في الحضيض. نكتفي هنا بالقول: انه سحر المسرح، انه عناد بيروت التي تتمسك بالحياة وتطالب بحقها في الوجود.

نضال الاشقر: من دون المسرح تموت روح بيروت



نضال الاشقر.

هو ان يأتينا الشباب ويقدموا اعمالا من خيالهم وابتكارهم وابداعاتهم". عن مدى حاجة الجمهور الى الفن في هذا الزمن الصعب، تجيبنا: "حقيقة، الناس في حاجة ماسة الى غذاء الروح. اذا لم نشاهد المسرح ولم نقرأ ولم نبقى على اتصال بالشباب لمعرفة قضاياهم وهواجسهم وانشغالاتهم، تموت المدينة عندها، وتموت روح بيروت، وهذا لم نسمح بان يحصل. الناس في حاجة لان يخرجوا من همومهم اليومية والازمة الخانقة من خلال اعمال فنية تحثهم على التفكير والتامل والمساءلة. الجمهور يتوق الى حياة افضل، الى الجمال، الى الروح، الى الاعتلاء بذاته الى اعلى مستويات. ولهذا السبب يقصد المسرح. المسرح هو فن مختلف، هو فن التداول بين الجمهور والفنان، والحوار الدائم بينهما. الاثنان يغذيان بعضهما، ويدعمان بعضهما. الفنان في حاجة الى الجمهور والعكس صحيح. علينا ان نبقى على قيد الحياة ونبقى مستميرين وتبقى بيروت متألقة ولو تحت الانقاض".

اتعابهم، وهم اناس اكفاء يعملون معي منذ 26 سنة. في المحصلة، لم يأت وزير ثقافة واحد قدم لنا دعما حقيقيا. ما قدم لنا لا يغطي سوى جزء نذير جدا. ولم يأت رئيس جمهورية قال انه سيعطي الاولوية للثقافة والفنون. لذلك، نحن اليوم نصارع لنبقى، على امل ان ننجح في مسعانا". عن امكان زيادة سعر بطاقة الدخول، تقول: "في الحقيقة، منذ ان افتتحت المسرح، كان هدفي صنع مسرح شعبي، ليس للنخبة. وكانت دوما اسعار البطاقات تراوح بين 20 و35 الف ليرة. الان، يأتي بعض الشباب ليدخلوا، فيسدوا اكثر من السعر المحدد من تلقاء انفسهم، لانه كما تعلم، لا يمكنك ان تتنازع سندويشا بهذا السعر اليوم. نحن وضعنا اسعارا رخيصة للتذكار، لكن بعد ثلاثة اشهر من الافتتاح، اذا اننا افتتحننا في اذار، نحن اليوم امام استحقات دفع فواتير وغيرها من التكاليف. لذا، سنضطر لزيادة سعر استئجار الصالة، ولو انه سيبقى منخفضا بشكل عام. سنظل متمسكين بهذا الطريق، وعدم زيادة تذاكرنا حتى يظل الجمهور راغبا وقادرا على المجيء. على فكرة، الجمهور لم يتخل عن المسرح، فكل مشروع نقدمه على الخشبة، يشهد اقبالا كبيرا".

وتابعت: "حين يكون العرض من انتاجنا، يبقى سعر البطاقة كما حددنا اي 20 الف ليرة و35 الف ليرة، وقد نضطر لزيادته الى خمسين الف ليرة كي نقدر على الاستمرار. اما استئجار الصالة، فقد حددنا له قبلا سعرا في متناول الجميع، لكننا سنضطر لزيادته بعض الشيء من اجل الاستمرار ايضا. وفي المجمل، فان الناس يحبون دوما حضور العروض. عروض علي شحور ولبنا ابيض مثلا كانت ممثلة، الى جانب عبد قبيسي الذي قدم في "مسرح المدينة" عرضا موسيقيا مترافقا مع الرقص، وكانت الصالة ممتلئة. اهم شيء بالنسبة الينا كما ذكرت

المسرحية القديرة وصاحبة "مسرح المدينة" نضال الاشقر تتحدث عن العقبات الكثيرة التي تقف امام استمرار المسرح في لبنان وسط الازمة الاقتصادية والمالية والصحية. تقول: "كان مسرح المدينة اول المسارح التي فتحت ابوابها بعد انتهاء الحجر. اخذنا على عاتقنا القيام بكل شيء حسب الاصول من كمامات وشروط تباعد اجتماعي والتعقيم الدائم. واخذنا على عاتقنا ايضا اعادة تشغيل المسرح مهما حدث. لم نتلق يوما دعما. هناك مسارح تأتيها اموال من الخارج من خلال مؤسسات. اما نحن، فلدينا فقط اصدقاء "مسرح المدينة" الذين يتبرعون باستمرار، وهذا ما يبقيه الى جانب تذاكر الدخول. اليوم، نحن نسمح بدخول مئتين فقط بدلا من 400 باسعار تذاكر منخفضة جدا. كما ان سعر استئجار صالتنا منخفض جدا ايضا لاننا نريد للمبدعين الشباب ان يأتوا ويعبروا عن انفسهم، ويكتبوا اشياء جديدة عن كل المآسي التي حدثت لنا، فلبنان يعيش مأساة كبيرة وتسونامي لم يحدث من قبل، جرف معه كل شيء: المصارف، الكهرباء، الزبالة، الماء... كل شيء لا يسير على ما يرام، باستثناء قضية كورونا التي تولاهنا وزير الصحة حمد حسن مشكورا وبذل مجهودا كبيرا في هذا الاطار. وحين اعيد افتتاح المسارح، افتتحننا نحن بمشاريع جميلة جدا، مع شباب يقدمون امورا مختلفة ومتميزة، وهذا ما اردناه. كذلك، نقيم محترفات مهمة يوميا عن التمثيل والاخراج، وتأهيل الممثل. وحتى العام الجديد، برنامجنا مليء بالمشاريع. صحيح ان الدفع قليل، لكن همنا هو عدم اقفال المسرح. في الجهة المقابلة، لم نستطع منذ ثلاث سنوات تسديد ايجار المسرح لانه لم يعمل لا العام الماضي ولا العام ما قبل الماضي. ومنذ شهرين فقط اعدنا افتتاحه. لدينا ايجارات متراكمة وفواتير كهرباء ولدينا تقنيون في المسرح علينا تسديد



المخرجة لبنا ابيض.

و حين نسأله عن كيفية تغطية تكاليف العرض، يجيب: "من جيبنا الخاص، لكننا نحاول ايجاد طرق مختلفة مثل طرح بطاقة دعم مع التذكرة. عرضي الاخير غطى تكاليفه ليس الا، لكن الربح معنوي بالنسبة الينا، ان نبقى موجودين ومستمرين". وحين نسأله عن ازدياد سعر تذكرة الدخول، يجيب: "اجل ازداد السعر، وسيزداد اكثر. كون بطاقة السينما وصلت اليوم الى 45 الف ليرة، يجب على بطاقة المسرح ان تكون اقله بين 70 الف و75 الف ليرة. لكن في الوقت عينه، يجب الاخذ في الاعتبار عشاق المسرح الذين يعجزون عن دفع هذا المبلغ. في رأيي، لا يجب ان يكون سعر البطاقة اقل من ستين الف ليرة. مع ذلك، الجمهور يحضر العروض". نعود الى سؤاله عن الجمهور المهموم بازماته المعيشية، فيجيب: "الجمهور يحتاج الى المسرح والفن الان. صديقي الكاتب ديمتري ملكي قال لي انه في زمن الحرب، عندما كانت تشتد الازمة، كان الناس يأتون الى المسرح. لا اعرف سبب انتعاش المسرح في الازمات. ولا ننسى ايضا ان الفن جزء من التنفيس بالنسبة الى الجمهور الذي يحتاج الى تفريغ الضغط النفسي الذي يعيشه من الازمات المحيطة به. المسرح يخفف عن الناس في هذه الازمة الخانقة".

س.م.



المخرج شادي الهير.

لان سيارتي خالية من البنزين. اصف الى ذلك مشكلة الدولار الذي يتذبذب ويكرس حالة الاستقرار والضياع، ومشكلة كورونا التي تفرض علينا ملء نصف الصالة فقط". عن امكان غلاء سعر بطاقة دخول المسرح، تجيب: "اخشى ما اخشاه ان يصبح الفن محصورا بطبقة واحدة. نحن ضد الطبقة، حتى الكتاب العربي اليوم صار يكلف 60 الف ليرة. وانا ضد هذا كله. فبالنسبة الي، المسرح والقراءة وغيرهما ليست من الكماليات بتاتا. هناك مسرحية عرضت في البلد، راوح ثمن تذكرتها بين 50 الف ليرة و 100 الف ليرة. اعتقد ان هذه المرة يصعب الاستمرار من دون دعم الدولة".

"دفنا" لشادي الهير ومايا سبيلي

كذلك، شهد مسرح "شغل بيت" في فرن الشباك مسرحية "دفا" لشادي الهير ومايا سبيلي. العرض يقارب ما الذي يمكن ان يقوله فرد قبل ان يموت وما هو شعوره عند توجهه الى هذه اللحظة. رغم كل الازمات المحيطة بنا، يبدو المخرج شادي الهير متفائلا حين نحدثه عن انكفاء الجمهور عن المسرح، سعيا وراء لقمة العيش. يعلق: "ليس هناك انكفاء، بل ان الجمهور موجود وحاضر".

نضال الاشقر :
منذ ان افتتحت "مسرح المدينة"، كان همي تكريس مسرح شعبي لكل الناس



من مسرحية "دفا" لشادي الهير.